العرب
السبت 2020/12/12
السنة 43 العدد 11909

فنانة جنوب أفريقية تسافر بتراث بلادها إلى العالمية

إيستر ماهلانغو.. ثمانينية تحوّل بريشتها السيارات إلى أيقونات فنية

هي اللوحة واللوحة هي

عوضت الفرشاة بريشة دجاجة

حتى السيارات تزينت بألوان ماهلانغو الزاهية

عشقت الفنانة الجنوب أفريقية إيستر ماهلانغو الألوان، منذ كانت يافعة، فعانقت أناملها الريشة وراحت تطبع فسيفساءها على الأشياء فتحوّلها إلى تحف فنية بديعة، وضربت أول موعد لها مع الشهرة منذ ربع قرن حينما زيّنت بألوانها سيارة أيقونية لـ"بي.إم.دبليو"، فقادها إبداعها إلى التعاون مع شركة السيارات الألمانية المرموقة.

جوهانسبرغ – ريشة الدجاجة بدلا من الفرشاة، هذا ما تستخدمه الفنانة الجنوب أفريقية إيستر ماهلانغو التي تبلغ من العمر 85 عاما، لترسم الخطوط السوداء المستقيمة الخارجية في أعمالها المفاهيمية، بما تحتويه من تصميمات هندسية مأخوذة من البيئة والتراث.

وهذه الجدّة التي تنحدر من مقاطعة مبومالانجا بدأت هواية رسم التصميمات المتنوعة زاهية الألوان والمشرقة، مثلها في ذلك مثل ما تفعله معظم الفتيات اللاتي ينتمين إلى قبيلة نيدبلي، حيث يعدّ الرسم وسيلة لاجتذاب زوج باعتبار أن هذا الفن يعبّر عن شخصية رائعة لزوجة المستقبل.

غير أن هوايتها التي تطوّرت إلى لوحات جدارية ثرية ذات تصميمات بديعة، لم تمنحها الزوج فقط وإنما أكثر من ذلك، فقد طارت شهرتها إلى آفاق بعيدة، وأصبحت لوحاتها تعرض في أفضل المتاحف بالعالم، ويسعى المشاهير من هواة جمع الأعمال الفنية مثل المذيعة الأميركية الشهيرة أوبرا وينفري إلى اقتناء أعمالها.

من المحلية إلى العالمية

عن تجربتها الفنية الاستثنائية، قالت ماهلانغو "لم أبدأ الرسم لأغراض تجارية، بل لمجرد الحصول على زوج"، وشرحت، وهي تضع كعادتها الدائمة مجموعة من الحلي التقليدية وقلائد تحتوي على مجموعة من الخرز مشرقة الألوان، أن ثقافة قبيلتها ترى أن البيت الذي تزدان جدرانه برسومات جميلة يشير إلى أن الفتاة التي تسكنه ستصبح زوجة جيدة.

وتعاونت أخيرا الفنانة الجنوب أفريقية مع شركة "بي.إم.دبليو" الألمانية التي تنتج السيارات الفاخرة، وكذلك مع شركة "رولزرويس" البريطانية، لرسم لوحاتها التقليدية التي برعت فيها، ذات التصميمات الهندسية التجريدية التي تنتمي إلى فن نيدبلي الأفريقي على سياراتهما، ولكن رغم النجاح الذي حققته على المستوى العالمي، ما زالت ماهلانغو تعيش في واحدة من أكثر المقاطعات فقرا في جنوب أفريقيا، وتقوم حاليا بتدريس فنون قبيلة نيدبلي للأطفال، مؤكّدة أنها لا تريد لثقافتها أن تموت.

وتقول وهي تتحدّث من وراء كمامة مزخرفة بألوان زاهية "تأثرت حقيقة بجائحة كورونا، ولم يتمكن عدد من تلاميذي من حضور الدروس، وأنا أشعر بالقلق، لأن هذه هي الطريقة التي نعلم بها أطفالنا جذورنا".

ولم تغيّر الشهرة من ولاء الفنانة الجنوب أفريقية الكبير لتقاليد بيئتها، وظلّت تحملها في لباسها متعدد الألوان وفي مختلف أنواع الحلي، وعن ذلك تقول "فنّي أخذني إلى مختلف مناطق العالم، وجعلني أرى العديد من الأشياء، لكنني سأبقى إيستر ماهلانغو من محافظة مبومالانجا من جنوب أفريقيا".

وكانت بدايات ماهلانغو الفنية متواضعة، حيث انطلقت ترسم لوحات جدارية على الأكواخ والبيوت الصغيرة، وسرعان ما سافرت أعمالها بعد ذلك إلى عالم الشهرة الرحب لتزيّن نماذجها الهندسية ذات الألوان المتنوعة، كل ما يخطر على البال بدءا من الطائرات وصولا إلى حقائب اليد.

وحظيت أعمالها الفنية بفرصة العرض في مختلف أنحاء العالم، ومن أبرز أماكن عرضها متحف جوجنهايم بمدينة نيويورك ومعهد سميثسونيان الأميركي، ومركز جورج بومبيدو بباريس حيث بدأت فيه أول عرض دولي لها في أواخر الثمانينات من القرن العشرين.

وإلى جانب وينفري –التي رسمت ماهلانغو لوحة جدارية لمدرسة البنات التي أقامتها في جوهانسبرغ– اشترى أعمالها عدد من المشاهير مثل نجوم التمثيل والغناء الأميركيين جون ليجند وأوشر ووبل سميث، وأيضا الممثل والمذيع الجنوب أفريقي تريفور نواه.

موجة أفريقية

في أكبر معرض لها أقامته على أرض بلدها، مؤخرا، في قاعة فنون ميلروسي بجوهانسبرغ، تجمّع نجوم المجتمع مقرّين العزم على شراء قطعة من أعمالها الفنية التي يبلغ سعر الواحدة منها عشرة آلاف دولار.

إيستر ماهلانغو

أسعى إلى تخليد تراث بلادي عبر أعمال تشكيلية ترنو إلى العالمية

وفي هذا الصدد يقول كريج مارك مدير قاعة ميلروسي "يرى كثيرون أن الوقت الحالي هو زمن الفن الأفريقي".

ويضيف "ينظر محبو الفنون إلى مجموعاتهم الفنية ويقولون إننا نحتاج إلى فنانين سمر الوجوه، حيث أن ذلك يتيح تنوعا وتمثيلا أوسع نطاقا للمدارس الفنية العالمية".

ويتابع مارك قائلا إن "أشهر جامعي الأعمال الفنية على مستوى العالم يشترون أعمال ماهلانغو الفنية، وإضافة إلى الكثير من الفنانين زاد الطلب على أعمالها (من قبل غير الفنانين أيضا)".

وتتّفق مع هذا الرأي روزي روسيك التي أشرفت على معرض ماهلانغو الأخير، وتقول إن "هناك موجات مختلفة من الفن، فقد كانت هناك موجة صينية، والآن هناك موجة أفريقية".

وتشعر ماهلانغو بالضيق عندما يسألها أحدهم: كيف لا تزال تستطيع، وقد بلغت 85 عاما من العمر، أن تحافظ على ثبات يديها بما فيه الكفاية، لرسم الخطوط السوداء الخارجية لأشكالها التجريدية ذات الألوان الزاهية؟ وتردّ مؤكّدة على أنها لا تستخدم شريطا للتثبيت، ولكنها تستخدم فقط ريشة دجاجة وعينا مبصرة.

مروان طحطح يوثّق نوستالجيا الثورة اللبنانية فوتوغرافيا

"بين تشرين وتشرين" هو عنوان المعرض الفردي للمصوّر مروان طحطح المقام حاليا بغاليري "هنغار أمم" في الضاحية الجنوبية من العاصمة بيروت، وفيه يرصد الفوتوغرافي اللبناني يوميات المتظاهرين وتحركاتهم ولغتهم في زمن ثورة أجهضت قبل أن تكتمل.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

بيروت – يضمّ معرض "بين تشرين وتشرين" المقام حاليا بغاليري "هنغار أمم" ببيروت، ما يقارب السبعين صورة فوتوغرافية التقطها المصوّر الفوتوغرافي اللبناني مروان طحطح ليوميات ثورة 17 أكتوبر 2019، لاسيما في بدايتها حين كان الزخم قويا ولم يكن بعد قد وقع ضحية السلطة وأعمالها الإرهابية.

وقد رصد الفنان/ المصوّر في العديد من الصور ما جرى على تسميتهم بـ"بلطجية السلطة" وهم يتعرّضون للمتظاهرين وللصحافيين بالضرب والإهانة. واشتهرت إحدى هذه الصور بشكل كاسح حتى لم يعد أي أحد في لبنان لم يرها ولم يحتفظ في ذاكرته بما عبّرت عنه من شراسة وخلل نفسي ظهرا بوضوح على وجه أحد أفراد المهاجمين وهو يرفع عصا في وجه إحدى المتظاهرات قبيل أن ينهال عليها بالضرب لبضع ثوان.

يقول مروان طحطح إن الأكثرية الساحقة من الناس لا تعرف أنه هو صاحب الصورة، وينطلق من هذه الملاحظة ليؤكّد أنه ليس المصوّر الوحيد الذي التقط صورا غزيرة للثورة على الرغم من اللقب الذي التصق به وهو "مصوّر الثورة".

وأضاف قائلا "أنا واحد من العديد من المصوّرين المحترفين للثورة الذين انتشرت صورهم دون الإشارة إلى أسمائهم، وفي ذلك إجحاف كبير بحق المصّور الذي يقف خلفها".

وفي هذا السياق، نذكر إحدى المحطات التلفزيونية البارزة في لبنان التي بثّت مؤخرا حلقة خاصة من إنتاجها عن الصورة الفوتوغرافية المعاصرة في لبنان، ولم تأت على ذكر أسماء بعض المصوّرين الذين التقطوا صورا تاريخية توثيقية وفنية على السواء. وينسحب هذا التلكؤ أو هذا التغاضي غير المهني عن ذكر المصوّرين إلى مجالات النشر الورقي والرقمي على السواء.

هذه المسألة تستوقفنا بشكل كبير ويمكن اعتبار صورة مروان طحطح لـ"البلطجي" وهو يهبّ لضرب إحدى المتظاهرات من أكبر الأمثلة على كيف "تهرب" الصورة من هذا النوع من ملتقطها لتصير ملكا للناظر إليها، بمعنى أن كل ناظر (لاسيما المتورّط في الحدث المُصوّر) يصبح هو، بإلقائه النظر على الصورة، مُلتقط المشهد بعدسة عينه ليسقط اسم المصّور "الأصلي" عن الحسبان.

وللتوضيح، هذا ليس نوعا من تشريع الخطأ المُتمثل بعدم ذكر المصوّر الذي التقط في اللحظة المناسبة وبالبراعة الفنية والتقنية الصورة الفوتوغرافية، بل هو التركيز على سلطة الصورة على حساب هوية فاعلها. يحدث هذا غالبا حينما يكون موضوع الصورة حدثا شعبويا كما كانت ولا تزال ثورة 17 أكتوبر.

ويُمكن اعتبار هذا المعرض الذي يستمر حتى شهر فبراير من العام القادم، معرضا فنيا/ تجهيزيا، لأنه ضم إلى جانب الصور الفوتوغرافية متعددة الأحجام، فيلم فيديو وسينوغرافيا خاصة بالمعرض، حملت توقيع كل من مونيكا بورغمان سليم وأيمن نحلة.

ومن هناك استحالت صالة العرض إلى ساحة مُصغرة وشبيهة بساحات الثورة، حيث جهّزت بـ"بلوكات" (حواجز) إسمنتية شبيهة بتلك التي وضعت وبتراكم خلال توالي أشهر الثورة في رياض الصلح بين المتظاهرين والمقرات الرسمية.

قد يحضر سؤال: لماذا هذا المعرض الآن؟ وخاصة أن البعض يعتبر أن الثورة وأحلامها المجهضة باتت من الذاكرة، وأنها لم تحقّق أي شيء يُذكر سوى المزيد من المرارة.

الإجابة على هذه التساؤلات تكمن في مناسبة المعرض وظروف تنظيمه، فهو في حد ذاته حدث يستحق التأمل ويؤكّد على صلابة الجسر المُمتد ما بين واقع الحال وصوره التي ينتجها الفنانون، مصوّرين فوتوغرافيين كانوا أم غيرهم من الفنانين.

فمن المعلوم أن المعرض بشّر بتنظيمه بعد انفجار مرفأ بيروت بأسبوعين، وهو الذي انطلق من تكريس فكرة دامغة وهي: لا بد من العودة إلى الثورة. والمعرض هو نوع من استحضار شعائري/ فني لروح الثورة، أي لما أمكن له، لو استمر، أن يجنّب اللبنانيين الفاجعة الكبيرة التي أصابتهم في انفجار 4 أغسطس.

> **«بين تشرين وتشرين».. معرض فوتوغرافي لمروان طحطح يبشّر بربيع ثان لثورة لبنانية، يراها آتية لا محالة**

ومن المعلوم أيضا أن فكرة المعرض أخرجها إلى النور لقمان سليم صاحب "هنغار أمم للتوثيق". أما العنوان فاختاره دلاليا "بين تشرين وتشرين..."، وهو مثل شعبي تكملته "صيف ثان". واللافت أن صاحب صالة "هنغار أمم" للعرض وضع للعنوان العربي ترجمة إنجليزية مفادها "الخريف هو ربيع ثان".

قد يجد الكثير من الناس في هذه الترجمة معنى مُحقا، ولكن قد يجد البعض ذاتهم وهم يكملون تعبير "بين تشرين وتشرين.. تشرين آخر، ثان وثالث وربما أكثر" مع الأمل أن لا يكونوا مُحقين في ما يفكّرون ويتوقعون.

وطحطح من مواليد لبنان سنة 1981. درس فن الرسم المعماري قبل أن يتفرّغ إلى شغفه بالتصوير الفوتوغرافي ليتابعه في الدراسة والممارسة فالاحتراف كمصوّر صحافي. بداياته كانت مع جريدة الشرق عام 2001 وهو الآن متفرّغ كمصوّر حرّ.

شارك الفوتوغرافي اللبناني في العديد من المعارض الجماعية، وحاز سنة 2004 على الجائزة الأولى في معرض نقابة المصوّرين الصحافيين. وله معارض فنية فردية أولها حمل عنوان "بعيدا عن التركيز" سنة 2004، ثم قدّم "مدينة أين" و"البحر يغادرنا عندما نرحل" الذي صوّر فيه مدينة بيروت والبحر.

للثورات أعداء يتربصون بها